في فقتهم فيه موافقة في نوع من انواع معاصيهم فهذا اصل ينبغي ان يتفطن له فصل
لما كان الكلام في المسالة الخاصية قد يكون مندرجا في قاعدة عامة بدا نابذكر بعض ما دل عليه من الكتاب
والسنة والاجماع على الامر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة سواء كان ذلك عاما في
جميع انواع المخالفة او خاصا ببعضها في اعيادهم خصوصا وهاهنا نكتة قد نبهت عليها
وسواء كان امرا بجواب او امرا باستحباب ثم التبعيد ذلك بما يدل على النهي عن مشابهتهم في اعيادهم
خصوصا وهاهنا نكتة قد نبهت عليها في هذا الكتاب وهو ان الامر بموافقة قوم او مخالفتهم
قد يكون لان نفس قصد موافقتهم او نفس موافقتهم مصلحة وكذلك نفس قصد مخالفتهم او نفس
مخالفتهم مصلحة بمعنى ان ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد او مفسدة وان كان ذلك
الفعل الذي حصلت به الموافقة او المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة
او المفسدة ولهذا نجد من ينتفع بنفس متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والسابقين في
اعمالهم لولا انهم فعلوها لربما قد لا يكون لنا مصلحة طابوت ذلك من تحبيهم وابتلاء قلوبنا
بقلوبهم وان ذلك يدعونا الى موافقتهم في امور اخر في غير ذلك من الفوائد كذلك
قد ينتفر بعثنا بعثنا الكافرين في اعمالهم لولا انهم يفعلونها لم ننتفر بفعلها وقد يكون
الامر بالموافقة او المخالفة لان ذلك الفعل الذي يوافق فيه او يخالف متضمن
للمصلحة او المفسدة ولو لم يفعلوه لكن عبر عنه بالموافقة او المخالفة على سبيل الدلالة والتعريف
فتكون موافقتهم دليلا على المفسدة ومخالفتهم دليلا على المصلحة واعتبار الموافقة والمخالفة
على هذا التقدير من باب قياس الدلالة وعلى الاول من باب قياس العلة وقد يجتمع الامران
اعني الحكمة التابعة من نفس الفعل الذي وافقناهم او خالفناهم فيه ومن نفس تشبهنا بهم
فيه وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المامور بها والمنهي عنها فلا بد من التفطن
لهذا المعنى فانه به يعرف معنى نهي الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقا ومقيدا
واعلم ان دلالة الكتاب على خصوص الاعمال وتفاصيلها انما يقع بطريق الاجمال والعموم او
الاستلزام وانما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وقد دل عليه وتعبر عنه فنحن
نذكر من ايات الكتاب ما يدل على اصل هذه القاعدة في الجملة ثم نتبع ذلك بالاحاديث
المفسرة في اثناء الايات وبعدها قال الله سبحانه ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب
والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات
من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
انهم

انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين اخبر سبحانه
انه انعم على بني اسرائيل بنعم الدين والدنيا وانهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض ثم
جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة من امره واموره باتباعها ونهاه عن اتباع اهواء الذين لا يعلمون
وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته واهواؤهم هو ما يهوونه وما عليه المشركون
من صديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه ويوافقهم
فيه اتباع ما يهوونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض امورهم ويسرون
به ويودون انه لو تبدلوا عظيما ليحصل ذلك ولو فرض ان ليس لفعل من اتباع اهوائهم
فلا ريب انه مخالفتهم في ذلك احسم لمادة متابعتهم في اهوائهم واعون على حصول مرضات الله
في تركها وانه موافقتهم في ذلك وتلوح ذريعة الى موافقتهم في غيره فان من حام حول الحمى
اوشك ان يواقعه واي الامرين كان حصل المقصود في الجملة وان كان الاول اظهر
ومن هذا الباب قوله سبحانه والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه ماب وكذلك انزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق والضمير
في اهوائهم يعود والله اعلم الى ما تقدم ذكره وهم الاحزاب الذين ينكرون بعضه فدخل في ذلك كل
من انكر شيئا من القرآن من يهودي ونصراني وغيرهما وقد قال ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من
العلم ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لاهوائهم بل يحصل اتباع اهوائهم
بما هو دونه ذلك ومن هذا قوله تبع ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى
الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير
فانظر كيف قال في الخبر ملتهم وقال في النهي اهواءهم لان التقرير لا يرضون الا باتباع الملة مطلقا
والزجر وقع عن اتباع اهوائهم في قليل او كثير ومن المعلوم ان متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين
نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه او مظنة متابعتهم فيما يهوونه كما تقدم ومن هذا الباب
قوله سبحانه ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم
وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين
الى قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين
ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني لاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون فاخبر ان الحجة التي يحتج بها اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فهو
قد وافقتموني في قبلتنا فيوشك ان يوافقوني في ديننا فقطع الله تعالى حجتهم في القبلة

Copyright Imam Muhammad ibn Saud Islamic University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)